في جنائن الغرب

نشرنا حتى الآن تحت هذا العنوان بعض مختارات من كتابات مشاهير ادباء الغرب، وقد احببنا اليوم أن نأخذ صفحةً عن اللغة التركية وهي مرصعة بالمعاني النفيسة:

﴿ الابتسامة ﴾

الابتسامة هي علامة الابتهاج ، وبشيرة الارواح الحساسة

الابتسامة عدوة لجيوش الهموم تهاجمها فتمزق شملها شذر مذر

الابتسامة مرآة الباطن ، الابتسامة لسان القلب

كل شيء في الكون ابتسامة

الابتسامة ، واسطة فعالة تجعل العدو صديقاً

الابتسامة ، دواء القلوب المنكسرة

الابتسامة ، سبب لتعارف القلوب

الابتسامة ، أمضى سلاح للنساء

رب ابتسامة ينكسر بها القلب ، وابتسامة يجبر بها ، وابتسامة تلتئم بها القلوب المنكسرة

الابتسامة موهبة إلهية يتفجر منها ينبوع السعادة لكافة البشر

في لمعان البروق ، ورعد الصواعق وخرير المياه ، وتغريد الطيور ، ابتسامة . النور ، والضوء ، واللون ، والجمال ، والروض ، والربيع ، والورد وروض الورد — كلها ابتسامة

جميع الكائنات تبتسم ، السحر بنسيمهِ ، والصباح بفجره ، والشمس

بطلوعها والمساء بشفقهِ ، والليل بضوء قمره ، ولمعان نجومهِ ، والشبوبية بنضارتها ، والشيبة ببياضها ، والسماء بامطارها ، والارض بمراعيها ، والكلام بمعناه ، والنظر بغمزه ، والغناء بوزنه ، والموسيقى بتوافق ألحانها

تبتسم المسرة لانخداعنا بها ، والمشقة لانتقامها منا

يبتسم المرء باختلاف الأحوال الطارئة عليه في زمن التحقير ، ووقت التبشير وحيثما يقع بمصيبة ، وعند ما يسر ، وفي الحزن واليأس والأمل والمحنة والظفر

ضحك الأطفال كنغمات البلابل ، وضحك النساء كرائحة الرياض العطرة ، وضحك الرجال كاصوات الصواعق اذ في ضحك الاطفال عصمة ، وفي ضحك النساء شفقة ، وفي ضحك الرجال عزم وثبات

الابتسامة ، هي التي تستقبل الآتين الى عالم الوجود وهي التي تودع الراحلين الى عالم البقاء

فالعالم هو الذي يجعل حياته ابتساماً وضحكاً ويبتعد عن اراقة دمعه في زمانه الضحوك المبتسم

فيسكن في البيت الضحوك ، ويشارك في حياته من تضحك وتبتسم ، ويتخذ أحباء يضحكون ، ويمضي سحابة حياته في الضحك والابتسام

العرفان

الطالب البائس

ذكرنا كلمة في العدد الماضي عن المرحوم محمد امام العبد الشاعر البائس الذي كان يقول ان سواد جلده حداد على حظهِ . وقد احببنا ان ننقل الى قرائنا شيئاً

من نثره ، وهو كلامٌ له في البؤس والبائسين ، قال :

خرجت ذات ليلة من داري وانا بين الهم والغم ، وفي صدري من الاشجان ما في قلبي من الاحزان ، فضربتُ في الطريق من غير صديق . اللهم الا نفس يتردد ، وحزن يتجدد ، فما زلت كذلك حتى اكتنفني التعب ، وغلب عليَّ النصب . وكنت على مدى النظر من « الجزيرة » فرأيت ان اكون فوق الجهد ، لأدني مسافة البعد ، فصدقت عزيمتي بعد جهاد ، وبلغت اربتي او كدت اكاد ، وما هي الا خطرة مرت مرَّ النسيم ، تحت سجن الليل البهيم ، حتى بصرت بظل يسرع في مشيته ، وكأني بهِ يقاضي الاقدار في محنته ، ولما أمسى مني حيث أمسيت منهُ ، تسرَّب الى نفسي ان اقف منهُ على نفسهِ لان البائس يميل الى البائس ، واليائس يحن الى اليائس . والوجوه صحيفة لما تخفيهِ السرائر او تضن بهِ الضمائر . فالقيت عليهِ تحيتي فاردفها باحسن منها ، ثم جعلت له الى الحديث سبيلاً فتمشى الحزن في صدره حتى كدت أحس بهِ في صدري ، واسبل من جفونهِ دموعاً في كل دمعة لؤلؤة بيضاء ترى على خده ياقوتة حمراء كأنها بنت الشفق ، في ذلك الغسق

فقلت له : ما شأنك يا بني ؟ وما أمر الجائحة التي نزلت بك ؟

فقال لي بصوت لا يسمعهُ الاَّ من اراد ان يتسمع : انني ولدت في يومٍ أخذ صباحه بمسائه ، وذهب ظلامه بضيائه . فتوفي والدي قبل عقد التمائم ، فاسلمتني الاقدار الى أم حنون لا تملك من المال غير ما يغني عن السؤال ، وكانت تلك الام الكيّسة تعمل صباحَ مساء في بيت

وحدتها او في دار هجرتها ، وكنت أنا في ذلك العهد من طلاب العلم في المدرسة

فما قنعت الاقدار بفعلتها الاولى ، بل نزلت علينا في ليلة اختلفت اجرامها وتنكرت نجومها ، وكثرت همومها . ولم تزل بنا حتى اصابت والدتي بعلة طوتها في لحدها ، واسقمتني من بعدها . فلم أجد من يقوم بتربيتي من بني الانسان في هذا الزمان بعد ما أبعدتني المدرسة عن مناهل العلم وتركتني أتلمس نصيراً من الوهم

وأنا الآن لا املك غير نفس أبى اليأس ان يبتعد عنها قيد شبر ، وفؤاد اصبح غرضاً لسهام الدهر . فامتعضت قليلاً وقلت في نفسي أما آن للاغنياء ان تساعد زمرة الفقراء ؟ ربِ ان ناظر المعارف أولى الناس باجابة هـذا النداء . فان لم يكن كذلك فقد ضاقت المسالك ، والامر لله ولا حول ولا قوة الاَّ بالله

محمد امام العبد

رثاء إمام

وقد أرسل الينا الادباء مراثيهم يندبون فيها زميلهم وصديقهم العبد ، فلم نتمكن من نشرها سيما وقد عزم حضرة عز الدين افندي صالح على جمع مختارات إمام مع اقوال الادباء فيه . فلترسل اليهِ في الاسكندرية (بوستة ثابتة) . غير اننا ننشر الأبيات الآتية التي جاءتنا من عزتلو ابراهيم بك العرب ، وفيها خير وصف لحالة الادباء :

يا إمامَ القريض بالشعر تُرثى وقليـلٌ على الامام الرثاء
ما وفى بالوفاء فيك خليلاً أين مني ومن خليل وفاء

ليتني عند ما أجبْتَ نداء اللـــه أُخبرتُ حين جاء النـداء
كنتُ أوفى عهداً وأرعى إخاء　　ان مثلي لديه يُرعى الاخاء
شغلتني عنك الشؤونُ بعدٍ　　علمَ الله ليسَ فيـهِ جفاء
تعبٌ كلهـا الحياةُ لعمري　　وعنـاء لا ينتهي وشقاء
عشتَ في الدهر تشتكي ألم البؤ　　س وحظُّ الأديب ذاك البلاء
هكذا هكذا الافاضل تشقى　　في حياةٍ وتسعد الجهلاء
ان حظَّ الأديب أضيقُ حظٍّ　　حُسِبَ الفضل قسطه والذكاء
فاذا عاش فالهجاء نصيبٌ　　واذا مات فالرثاء الثنـاء
كلُّ من مات ظامئاً لم يفدْهُ　　انهُ بعـدَه يفيض الماء
أو يجدي المدفونَ عمرانُ قبرٍ　　فيـهِ جسمٌ عليهِ يجري الفناء
ليس للمرء في الحياة سوى يو　　م سرورٍ يطيب فيـهِ الهناء
إنَّ هذي الحياةَ من عاشَ فيهـا　　الفَ عامٍ أو ساعةً فسواء
فحياةُ الأديب داء عضال　　وممات الأديب نعم الدواء

العرب

أنا قاتل عصفوري

في فجر يوم من أيام الربيع ، بكرت الى رواق من منزلي في وسط سهل بقيع ، يشرف على حديقة غناء ، ومروج ملوَّنة بين خضراء وحمراء وصفراء

جلست الى تلك المناظر البديعة ، الجامعة بين اعتدال الطقس

وسكون الطبيعة ، أروّح النفس في فضاء أرجائها ، واملأ العين من بديع بهائها ، ولم تكن الغزالة بعد أرسلت أشعتها أو بان سماطها ، وقد أخذت الطيور تغادر أعشاشها وأوكارها ، وترسل في الفضاء الهادىء شجيّ أصواتها ، ما بين هديلٍ وسقسقة ، وسجعٍ وقطقطة ، فكان من مجموع تلك الاصوات الرخيمة العذبة ، ذات الالحان الشجية ، جوقة موسيقية ، ألفتها القدرة الالهيـة ، لعبادته سبحانهُ وتوحيده ، ولفتهـا الـكائنات شكرها له على سوابغ نعمه وللاستزادة من رحمتهِ وجوده

وانا في ذلك الاستطراد من حالٍ الى حال ، ما بين مشاهدة الطبيعة وركوب الخيال ، حطّ بي الطوف عند كنارين ، متماثلين في حسن الحلية وجمال المنظر متحاكيين ، يتداعبان فوق غصنٍ وهو يميل تحتهما أو يختلج ويضطرب ، كما شاءا وشاء لهما الحب واللعب ، ثم يعود فيتثنى أو يستقيم ، كأنهُ راحة بسطتها الطبيعة اليهما للتسليم ، أو ذراع تهدهدهما بهِ تهدهد الأم لابنها الفطيم على سماع نوس هبّات النسيم

أقرّ هذا المشهد ناظري ، وبدا لي التأمل فاخذت أتأملهما والسرور آخذ بعطفي ، ذلك والعصفوران في مداعبة وطَفْر ، وكرّ ومفرّ ، هذا يجثم ، وذاك ينقز أو يدوّم ، هذا يرفرف حول ذاك أو يزفّ ، وذاك يدفّ هرباً من هذا أو يسفّ ، ثم يهفّان الى الارض يمرحان ويتلبدان ، ويعودان الى الغصن يجتمعان

شاهدت ذلك مبهور النظر طروب السمع ، فهبت بي عاطفة الاستئثار والميل الى الجشع ، فمددت لذينيك المتحابين السعيدين شركاً

اصطادهما بهِ ، حتى كان صباح الغد وافيت الشرك فرأيت أحدهما فيهِ مضى الربيع وتلاه الصيف وأعقبهِ الشتاء ، والعصفور ملكي أفعل به ما أشاء ، وقد حبستهُ في قفصٍ ذي صنع بديع محكم البنيان ، وشكل جميل بهيّ الالوان ، وكنت أتعهده بكل صنف تمكنت من جلبهِ من صنوف مطعم البغثان ، ولكن العصفور كان قليل الاكل مقهم الشهوة ، نادر الاستحساء نزر النغبة ، وكان كلما ازددت بهِ اعتناءً واهتماماً ، ازداد مني نفوراً واعتصاماً ، أو جئت أستميله تململ وتلوّى ، كأنهُ يشكو جراحاً بالحشى او انهُ كره مقامه واجتوى

انقضى فصل الشتاء وانا أعالج نفرته ووحشته ، واراود سآمته وكآبته ، وأخذت لذلك بجميع أسباب رفاهية الطيور وراحتها ، واحتلت بصنوف الحيل التي تؤدي الى استمالتها ، فلم يكن ما يستمال به ويرضيهِ ، او يخفف من زهده في حياته ويسليه على يأسه من تحقيق أمانيه

جاء الربيع واخذت الكائنات المرئية تتحلى بحلاها البهية ، والطبيعة تعرض مصنوعاتها السنية ، فمن زهرٍ تبسّم عن ثغره ، وشجرٍ جاد بثمره ، ونسيمٍ سرى بنسماتهِ ، وجدولٍ جرى هادئ في منعرجاته ، وبرزت الطيور من مكامنها ، وعادت تصدح على افنانها ، ولكنّ طيري لم يشترك مع بني جنسهِ في افراحهم ومسراتهم ، كأنهُ لم يكن منهم وهو بعيد عنهم وعن مختلفاتهم ، حتى كان صباح يوم وانا في شغلٍ شاغل ، طرق اذني صدحٌ شجيٌ متواشل ، فاسرعت مستبشراً فرحاً الى وجهة مصدره ، استعلم عن مرسله واتحقق صدق خبره ، فألفيت كناريّ

مضطرباً هائجاً في قفصهِ يروح ويجيء لا يستقرّ ، وقد عاينتهُ في مجيئهِ ورواحهِ ملازماً جانباً واحداً من قفصهِ ، وناظراً صوباً واحداً لا يحيد عنهُ حدقة بصره ، فاتجهت وجهته انظر فرأيت على زجاج النافذة المطبق ، كنارياً آخر قد انشب مخالبهُ في الافريز منهُ وتعلّق ، وناءى بجؤجؤه فارشاً جناحيهِ على الزجاج ، وقد فتح منقاره يلهث تعباً مع اضطراب في الجسم واختلاج ، وهو يحدُج اليّ حيناً ويحدّق الى العصفور السجين حيناً ، ويتبادل معـهُ صدحات متقاطعة متداركة متواصلة مملوءة حناناً وحنيناً . كأنها أُحاح مكروب مكدود ، او همهمة مصدور مفؤود ، طال عليها العهد ، ولم يقوَ على حبسها عن النفث بها منهُ جهد ، فارسلها رنيناً ثم ادركها نادماً واراد اخفاءها او ملاشاتها بين جوانحهِ فتراجعت مترددة في فيه مسمعةً لها في قفص الضلوع منهُ هنيناً

نظرت وسمعت فحرت في امري ، وبقيت لا اعي فعلاً آتيهِ ولا ادري ، وفي هذا الحين وقف العصفور المحبوس بغتةً وارسل صوتاً ليس بالصدح المألوف ، ولا بالتغريد المعروف ، واذا هو كرير صدرٍ مثقل بالغموم ، وتأوّه فؤاد مكلوم ، زفر بهِ صاحبهُ زفيراً ، مدّ بهِ النفس حيناً فكان شجياً مثيراً ، ثم رمى بهِ فاذا هو بقية روح كان الامل قد حبسها عند حد التراقي ، ودفع بها اليأس فغادرت صاحبها قتيل الاستبداد والاسترقاق

ملكتُ جسمه وحياته ولم املك فؤاده وعواطفه وهو الحرّ الكريم فكنت قاتله

أيها المستبدون اتقوا الله في خلائقهِ وعباده

فيليب مخلوف